الجزء الحادي عشر — المجلد الاول

بيروت في ٢٠ نيسان سنة ١٩٠٠

عسر ستو

محرر عبيد اميركا

حرّرت بقلمها عبيد اميركا ورفعتهم من وهاد الذل : خلصتهم من جور الاستبداد والقذارة من رق الاستعباد : فصاروا احراراً بعد ان رزحوا قروناً تحت نير البيض : على انهم بشر مثلنا . ولكنهم سود الوجوه . اعت نفسها الكبيرة من الظلم وعواطفها الكريمة من الامتهان فابى ضميرها السكوت على شقاء الناس فاندفعت بحماستها العميقة وشعورها الدقيق الى درس احوال العبيد والتوسع فيها . وما وعاها مثلها بيراعها اوضع تمثيل . وكان ما كتبته في هذا الموضوع تأثير عظيم دفع احرار الاميركيين الى النهوض ضد المحافظين وحملهم على اجبارهم على عتق الرقيق بعد جهاد سياسي عنيف وحرب اهلية هي ثورة اجتماعية اشتعلت نيرانها اربع سنوات . اثارت الحرب وفازت بها دون ان تشهر الحسام او تطلق الرصاص . قهرت اعداء الحق ولم تحضر معركة ولا حضضت على قتال . نزّهت الانسانية من عار العبودية ووقت الملايين من السود شر استبداد البيض . وكل ذلك بالقلم . فما اعظمه وما اسماه

كل الذين عاصروا حوادث تحرير العبيد في اميركا واستطلعوا اخبارها

جيداً ودرسوا مقدماتها واسبابها والعوامل التي دفعت الاحرار الى الأخذ بناصر اهالي الارقاء . كلهم يقولون — مسز ستو . مسز ستو . كلهم ينسبون لها في ذلك فضلاً عظيماً ويعدونها من اهم الامور المعنوية في تلك الثورة الاجتماعية ومن اهم المؤثرات فيها . بل يحسبونها بما كتبته العامل الاكبر والمؤثر الاعظم . لان كتبها قد نبهت الافكار واستفزت الهمم وكرهت بالرق كرهاً شديداً . وحسبها منها رواية (كوخ العم توما) المترجمة الى عدة لغات والتي طبعت بالانكليزية مرات عديدة وبيع منها خمسمئة الف نسخة في بضع سنوات

على انها من سلالة الانكليز ايضاً . اللون انكليزية الاصل اميركية المولد والمنشأ . شعبها مصالح بالرق يحافظ عليها ما استطاع . واذا فطرتها الشريفة واخلاقها الطيبة حاسباتها السامية ونفسها الراقية دعتها الى معاونة الضعيف والمدافعة عنه ضد مطامع القوي وحملتها على الجهر بالحق والنداء بالواجب

وهي هريت بتشر ستو الكاتبة المشهورة ذات الروايات المؤثرة والمؤلفات النفيسة فخر الاميركيين وحبيبة الاحرار في كل الارض

ولدت في ١٤ حزيران سنة ١٨١١ في لتشفيلد من اعمال كونكتيكت في اميركا الشمالية . وكان ابوها ليمان بتشر قسيساً مشهوراً كبير العقل قوي الجسم وامها فاضلة عاقلة ولها عدة اولاد صبيان وبنات . فنشأت هريت في بيت علم وتقى تحت سماء الاحاديث الدينية الراقية فتهذبت جيداً وتربت تربية جيدة . وعلمت في مدرسة انشأتها اختها كاترين في هارتفورد وعلمت فيها . ووسعت معارفها بنفسها درساً ومطالعةً وايدتها بالتأمل والامعان واستطلاع احوال الناس بقصد الاستفادة لا التسلي

وكانت ولادتها في وقت تنبهت فيه افكار مواطنيها الى النهوض من

سبات الخمول . فكانوا مع اشتغالهم في الزراعة والصناعة وغيرهم في المعالج المادية يشتغلون ايضاً في الآداب والعلميات ويبحثون في الامور الفلسفية الدينية كغاية الوجود وما شابه من المواضيع التي اعدهم لبحث فيها مذهب كلفن الذي وقفتم في تلك الاثناء . بعد ان استقروا نحو قرنين منصبين على القيام بفروضهم الدينية وشؤون الحياة وتحصيل الرزق بمجرد المدة فقط لايتدخلون اطلاقاً بالامور السياسية الكبرى ولا باظهار حرية الحكم على الامور ولا يطلقون الافكار من قيودها التي ما انكبت من الازمنة العديدة السابقة شأن الامم الراقية المتحررة من التدني الشأن العظيم وظلوا محافظين على تقاليدهم القديمة وعقيدتهم الى ان صاروا يهاجرون الى ولايات الجنوب ويتخلصون بتركهم من الطوائف والشعوب . فشعروا اذ ذاك باجتياحهم الوطنية والسياسية والاجتماعية واستفادوا من ثورة المرتسويين واحوال اوربا غير انهم رجعوا الى الانحطاط من شدة سلطة البادئ الضاغطة على عقولهم المقيدة الافكار والوحيدة الاستبداد بهم . وعبروا الى التحرر منها رغبة في اصلاح احوالهم على اختلاف انواعها . واهتموا قبل كل شيء بالتربية والتعليم والتهذيب . فمن منهم افراد مدينون قد افادوا البلاد ورقوا العباد

ومنذ هربت بشرى الناجين . وبدت منها دلائل النبوغ منذ الحداثة وكانت الملاحظ كل ما رآه وما تسمع به ملاحظة شديدة بانتباه فكر وحدة ذكاء وتبدي من دلائل النضوج البعيد والشعور العميق مع مظاهر البهجة والسرور ما يدل على توفر هذه القوى فيها وبرهن استعدادها الباهر . وقد ساعدتها التربية على انماء قواها ومكنتها منها وابدها التعليم وجملها التهذيب . ووافقتها الاحوال فاشتهر امرها وعلا صيتها . ولكنها لم يبلغ عرف طيبها في الآفاق البعيدة الا عندما تعين من عمرها الاربعين اي عندما اتخذت الناس روايتها

البديعة . عند ما جاهدت جهادها القلمي الشريف في سبيل تحرير العبيد والمساواة بين البشر . وعلى هذا الاساس توطدت اركان شهرتها . ولقد لم تشتهر باسم والدها بشربل اشتهرت باسم قرينها ستو

لانها كانت قد اقترنت بالمستر كالفن ستو احد اساتذة اللاهوت في مدينة سنسناتي او هايو حيث قد التقت مع عائلتها

وكان العناية الالهية ابت الا ان تمتع مسز ستو باجر الجهاد ولذة النصر فهيأت لها الاسباب ومكنتها منها . فان انتقالها الى الغرب عرفها بكثير من الناس واطلعها على عادات الجماعة لم تعرفها قبلا . فتوسعت دائرة اختبارها وازدادت معارفها ثم رجعت الى ولاية ماين واقامت في قرية صغيرة خيمت عليها عناكب السذاجة والهدوء حينما فسح لها مجال التمرن بما رأته وما شعرت به

واتفق لها حينما كانت في سنسناتي ان زمرة من العبيد الهاربين من مظالم اسيادهم والملتجئين الى بلدان الشمال شكوا اليها ما يقاسونه من الاتعاب والشقاء . فاثرت كثيراً لاحوالهم واستكثفت مما كان يرتكبه البعض من المنكرات الفظيعة حباً بتحصيل المال من اي سبيل جاء بحق او بغير حق . فصارت ترثي لنفسها وتمعن النظر في امر الاستعباد بمثل مستنير وقلب مملوء من عواطف الرحمة والشفقة

وكان وقتئذٍ حديث القوم في ولايات الشمال امر استعباد السود في ولايات الجنوب حتى ان مجلس النواب الاميركي قد بحث ايضاً في هذا الامر سنة ١٨٥٠ وقرر وجوب معاملة العبيد الهاربين بالرفق واللطف . وهذا ما زاد بتنبيه افكار اهالي الشمال ورغبهم في مداومة البحث والتكلم في الموضوع وحرضهم على لزوم الاستمرار بالبحث فيه لانه ملأ قلوبهم وعقولهم . غير ان العادة وصفت الاباحة في الناس وايضاً في رجال السياسة والدين كل هذه

تغلبت على ما اثارهم النهوض لتحرير العبيد فظلوا موجلين صامتين

بينما الذين اصلوا نيران هذه الاحاديث الاجتماعية افواه ملوا الفضاء بصراخهم شأن كل من يرغب في ملاشاة فساد عمومي لا يسد ملاشاته من تعاون العموم عليه. ولكن غيرة الناس على صيانة التجارة والخوف من نشوب الحرب ووقوف حركة الاشغال ونضف السياسيين والبعد الشاسع عن امكن الاستبداد كل هذه الامور حالت في بادئ الامر دون اتحاد الشماليين ضد الجنوبيين ومناصرتهم لاولئك المجاهدين باقلامهم ابلاغ نهاراً

واستترت هذه الاحوال غيرة الكاتبة عريت بتشرستو وكانت لا تنفك عن ذرف الدموع تاسفاً على ما تقاسيه نساء العبيد واولادهم من خشونة البيض فشحذت قلمها والفت روايتها الكوخ العم توما سنة ١٨٥١ وصفت بها اولئك الارقاء المتاكيد وصفاً صحيحاً ادهش العالم . فانتشرت روايتها انتشاراً عظيماً وبيع منها في بضع سنوات خمسمائة الف نسخة في اميركا فقط وترجمت الى عدة لغات وقد ترجمتها الى الارنؤدية مدام بلوك وسرني قراءة هذه اللغة سروراً عظيماً اخصهم الكتاب العظام كبارياته وغيره ووضعت بالتمثيل ومثلت مراراً لا تحصى حتى لم يبق اميركي يجهل ذلك الكوخ او ينسى تلك العائلة اذ كان لروايتها تأثيران مدهشان في نفوس القراء اولهما استحسان لغتها وحسن تركيبها وتسبيكها وبلاغتها وسهولة فهمها وثانيهما بثها عواطف الحنو والشفقة على العبيد واثارتها حاسات الانفة والاقدام على تحرير السود من مظالم اسيادهم الذين لا يخافون الله ولا يترقبون له وجوداً حتى اصبح معظم الاميركيين ضد حزب الاستبداد وانصارهم كبر من السياسيين فبحثوا في وجوب وضع حد لبيع العبيد او بالحري لملاشاة هذا العمل الفظيع على الاطلاق فتألف الحزبان وتجهز كل منهما ثم اشتبكت الحرب الاهلية العظيمة ودامت اربع سنوات

واسفرت عن تيجتين عظيمتين اتحاد الاميركيين كافة وتحرير العبيد

ولا نبالغ اذا نسبنا جميع هذه النتائج الحسنة الى ما خطته مسز ستو في كتبها فانها الفت عدة كتب اولها « زهرة اير » طبع سنة ١٨٤٩ ولها من العمر ثانية وثلاثون سنة . وبعد ما انهت مؤلفاتها في هذا الموضوع اظمت شعراً منثوراً وصفت به احوال توم كلند فشغف الناس به لما ابدته من طول الباع في المسائل الاجتماعية الفلسفية . ولا غرو فقد اشتهرت بتفننها الغريبة على الوصف حتى عدها البعض في مصاف والتر سكوت الكاتب الانكليزي الشهير وحسبها الاكثرون في مقدمة اشهر الروائيين الاميركيين ووافقت الجميع بالتأثير الذي رافق مؤلفاتها حتى عدت من غرائب الزمان

ولم تكن تهمل واجباتها المنزلية بل تقوم بها خير قيام وقد ربت بنيها تربية حسنة وعاشت مع عائلتها بهناء .

وقد ساحت في أوروبا عام ١٨٥٣ وكانت حيثما حلت يحتفي بها اعاظم الناس ويكرمونها غاية الاكرام

واقروا بفضلها في اميركا فنصبوا لها تمثالاً في جامعة نيو برولك حفرته الانسة دوران في معمل البارون تريكي في باريز متخذة هيئتها عنها مباشرة عندما كانت في عاصمة التمدن . وهو اصح رسم لها تبدو منه قوى نفسها

وصرفت آخر حياتها في هارتفورد حيث نقلت الى ان توفيت في ثالث تموز سنة ١٨٩٦ متجاوزة من عمرها الخامسة والثمانين

قد انكر المرء غيرانه والعيب المرأة جوراً ذنب
اهدى اليها سوء اخلاقه كتاب سر فيه كل العجب
ما ذنبها منه اذا حفظت شراً بل الذنب على من كتب

وديع الخوري